انقضايه يحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له وقيل ان هذه
المقصود من الاية تحقير امر الدنيا وانه عام فيهما وانما تشبه الحياة الدنيا باللعب
واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشي الذي يلعب به وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل فيها
لعب ولهو واما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الاخرة وان كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما اهل
الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يجدي شيئا ولا اشتغالهم عما امروا به تسميتها لعبا ولهوا وقوله
تعالى **وللدار الاخرة** يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله للدار الاخرة **خير** يعني من الدنيا
وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع **للذين يتقون** يعني الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو
افلا تعقلون ان الاخرة خير من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى **قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون**
يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقول المشركون لك قال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل
ابن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع
كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الاية وقال ناجية بن كعب قال
ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فانزل الله هذه الاية
وعن علي بن ابي طالب ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل
الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريق قال لانهم كانوا
يعرفون صدقه وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم **فانهم لا يكذبونك**
يعني لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا انك صادق **ولكن الظالمين يعني الكافرين بايات الله يجحدون**
يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القران بعد معرفتهم بصدق الذي انزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال
تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الاية يدل على انهم لم
يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا ايات الله وهي القران الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى
فانهم لا يكذبونك فانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك قوله عز وجل **ولقد
كذبت رسل من قبلك** يعني ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما كذبك قومك **فصبروا على ما
كذبوا واوذوا** يعني ان الرسل عليهم الصلاة والسلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على اذاهم
فاصبر انت يا محمد على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وازالة حزنه على تكذيب قومه واذاهم اياه **حتى اتاهم نصرنا** يعني باهلاك من كذبهم
ولا مبدل لكلمات الله يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قال الله كتب الله لاغلبن
انا ورسلي لا خلف فيما وعد الله به وقوله نفعل **ولقد جاءك من نبا المرسلين** يعني ولقد انزلنا عليك في
القران من اخبار المرسلين ما فيه تسلية لك وتسكين قلبك قال الاخفش من هنا صلة كما تقول اصابنا
من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء واخبارهم
كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى **وان كان كبر عليك اعراضهم**
ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الاية ان الحارث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
قريش فقال ائتنا باية كما كانت الانبياء تاتي قومها بالايات فان فعلت امنا بك فنزلت هذه الاية
رواه ابو صالح عن ابن عباس ومعنى الاية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هولاء المشركين عنك وعن تصديقك
والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سالوه اية
احب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم قال الله عز وجل **فان استطعت ان تبتغي** يعني تطلب وتتخذ
نفقا في الارض يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان اخر وسلما في السماء

اوتتخذ

او تتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة **فتاتيهم باية** يعني بالاية التي
سالوا عنها ومعنى الاية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان فان قدرت ان تذهب في الارض
او تصعد الى السماء فتاتيهم باية تدلهم على صدقك فافعل فانه احسن جزء في جواب الشرط لانه معلوم عند
السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتاذى بسبب
اعراضهم عنه وعن الايمان به وبما جاء به قوله تعالى **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** اخبر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ
قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى **فلا تكونن من الجاهلين** يعني بانه لو شاء الله لجمعهم على
الهدى وانه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه ولا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من
اعراضهم فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا
له عن هذه الحالة قوله عز وجل **انما يستجيب الذين يسمعون** يعني المؤمنين الذين فتح الله
اسماعهم فلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على
سمعه وقلبه وهو قوله **والموتى** يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون **يبعثهم الله** يعني يوم القيامة
ثم اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم **وقالوا** يعني روساء كفار قريش **لولا** يعني هلا **نزل عليه
اية من ربه** يعني الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل الاية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبياء
قل يعني قل لهم يا محمد **ان الله قادر على ان ينزل اية** يعني انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه وانزال
ما اقترحوه من الايات والمعجزات الباهرات **ولكن اكثرهم لا يعلمون** يعني ما ذا عليهم في انزالها من
العذاب ان لم يومنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال الايات وقيل انهم لا يعلمون
وجه المصلحة في انزالها قوله تعالى **وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم**
قال العلماء جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما ان يدب على وجه الارض او يطير
في الهواء حتى الحقوا حيوان الماء بالطير لان الحيتان تسبح في الماء كما ان الطير تسبح في الهواء وانما خص
ما في الارض بالذكر دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد اظهر
واولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتوكيد كقوله كتبت بيدي ونظرت بعيني
الا امم امثالكم قال مجاهد اي اصناف مصنفة تعرف باسمائها يريد ان كل جنس من الحيوان امة فالطير
امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمائها مثل بني ادم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس
والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب امة ما روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا
ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم اخرجه الترمذي والنسائي فان قلت
ثبت بالاية والحديث ان الدواب والطير امم امثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فما وجه
لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات
تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما انكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل
انها مخلوقة لله عز وجل كما انكم مخلوقون لله عز وجل انها يفهم بعضها عن بعض ويالف بعضها بعضا
كما ان جنس الانسان يالف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل امثالكم في طلب الرزق وتوقي
المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل امثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب
حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى **ما فرطنا في الكتاب من شيء** يعني في اللوح المحفوظ
لانه يشتمل جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القران يعني ان القران مشتمل على جميع
الاحوال **ثم الى ربهم يحشرون** يعني الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال
ابو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدله ان ياخذ
للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا ثم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

٣٠٦

حزب

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)